عنوان.. عنوان.. عنوان.. عنوان..

وعلى المضمار سبق لرائد القريشي (أبو الأشعث) المنتمي لجماعة (حطاط- أبين)- إحدى واجهات القاعدة في اليمن- أن قال في مقابلة صحفية في مارس ٢٠٠٥م انهم خلعوا البيعة عن خالد عبدالنبي، بل إن بيان القاعدة الأخير ألمح إلى تصدعات في التنظيم بقوله للسلطات «ولاتغتروا ببعض الذين استطعتم استدراجهم من الذين كانوا في صفوف المجاهدين فصاروا لكم عيوناً على إخوانهم ليحصلوا على عرض من الدنيا قليل، فنحن نعرفهم وعلى اطلاع على أحوالهم واتصالهم بكم، وننصح هؤلاء بأن يكفوا عن أدوارهم الرخيصة والتي سيلقون جزاءها عند الله أو بأيدينا إن لم يراجعوا أنفسهم ويتوبوا إلى الله عز وجل».

كفار على الطريق

○ مسألة الحوار- دون إغفال المهمات الأمنية- خيار استراتيجي انتهجته الدولة اليمنية كما يؤكد ذلك مراراً رئيس الجمهورية، لما له من مفعول في فكفكة الأفكار المتطرفة وإعادة تركيبها وفق منهاج وسطي، سيما أن القاعدة قبل أن تكون جماعة نظامية فإنها بنية فكرية تشكلت استناداً على مقولات دينية لتيارات سابقة، ونشأت في ظروف تضافرت مع المقولات لتكون هذا التنظيم.

تقوم كل الحركات الدينية على عقيدة «الولاء والبراء» أي موالاة المؤمنين وحبهم، ومعاداة الكافرين وبغضهم، وفي العالم الإسلامي ظهرت قديماً وحديثاً اجتهادات تحولت لتيارات وجماعات تختلف فيما بينها في سعة وضيق مساحة الكفر بموازاة الإيمان، وأيضاً طرق التعبير عن الولاء والعداء.. ما أدى بالنتيجة لوجود جماعات إسلامية معتدلة ومتطرفة، الأولى ضيقت اشتراطات الكفر والخروج من الملة وبالتالي فضلت انتهاج الدعوة بالحوار «بالتي هي أحسن»، والثانية وسعت دائرة الكفر والمحرمات واتخذت العنف طريقاً للدعوة على أساس مترتبات الكفر من إباحة للدماء والأموال إذا توافرت ظروف معينة..

ومن هذه الأخيرة برزت حركات إسلامية راديكالية (ثورية) أعرض عناوينها من التيار الشيعي «الخمينية» ومن التيار السني «الوهابية» التي نبشت في كتب السلف عن نواقض الإيمان لتدخل «الابتداع في الدين» في مربع الخطر الكفري المبطن لتخريب الإسلام من الداخل، فركز مؤسسها محمد بن عبدالوهاب على «إحياء فريضة الجهاد» لتشمل مقاتلة «المبتدعين» في بلاد الإسلام.

ومن المنبع الوهابي- الذي مثل قبل مائتي سنة حركة تحررية ضد الاستعمار العثماني- استقت العديد من الحركات الإسلامية المعاصرة جزءاً مهماً من أفكارها، في مقدمتها حركة الاخوان المسلمين لاسيما القطبية (نسبة إلى سيد قطب الذي دمج مفهوم الحاكمية لأبي الأعلى المودودي، وجاهلية المجتمعات لأبي الحسن الندوي) والتي بدورها صارت منبتاً فكرياً لأكثر حركات العنف الدينية الإسلامية من بينها حركة الجهاد المصرية وتنظيم القاعدة.

مصالح وشعارات

○ ليس الجانب الإيديولوجي الديني الجهادي هو الذي صنع تنظيم القاعدة، وإنما ظروف النشأة المرتبطة بإرادة القوى الكبرى في المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، استغلال القوى الدينية الإسلامية في استراتيجية حربها الباردة مع المعسكر الشرقي بزعامة الاتحاد السوفييتي.

حيث وجد الغرب ضالتهم المنشودة في الحركات الإسلاموية كورقة رابحة تطوق السوفييت بحزام إيديولوجي يحمي المصالح الغربية في المياه الدافئة بالخليج العربي والمحيط الهندي، فعملوا على تشجيع الثورة الخمينية كدرع متقدم جنوب المنظومة الاشتراكية، كما دعت التنظيمات الدينية التي وقع عليها الاختيار بسبب الموقف السلبي للشيوعية (العقيدة الإيديولوجية للدول الاشتراكية) من الدين، بالإضافة إلى تصنيف الغرب للتيار القومي العربي البعثي والناصري في خانة أصدقاء السوفييت.

إلى جانب أن الولايات المتحدة معسكرها بحاجة لحركات تتسم بطابع إيديولوجي له بُعد عالمي يعادي الإلحاد، ولايقبل التفاوض حول مسائل يعتبرها مبدئية لارتباطها بالسماء غير إمكانات التعبئة والتحشيد، فأصبحت التنظيمات الإسلاموية هي المرشح الأول، وباحتلال السوفييت لبلد إسلامي هو أفغانستان نهاية سبعينيات القرن الفائت تعززت فرص التقاء الاستراتيجية الغربية مع الشعارات الدينية، وبالفعل بدأ تحالف غير معلن بين الجانبين عبر الكثير من الأنظمة في الدول العربية والإسلامية.

وتصدرت حركات إسلامية على رأسها الإخوان المسلمون جمع الأموال وإرسال «المجاهدين» إلى أفغانستان من أكثر الدول العربية خصوصاً مصر، الأردن، اليمن، السعودية، الجزائر.. وإثر وضع الحرب أوزارها بخروج السوفييت من أفغانستان أواخر الثمانينيات بقي عدد من «المجاهدين» هناك ورجع آخرون إلى بلدانهم ليشكلوا فيما بعد ظاهرة ما يعرف بـ«الأفغان العرب».

في أفغانستان

○ قبل وصول «الأفغان العرب» إلى أفغانستان كان يتم استقبالهم في بيوت ضيافة أشهرها على الاطلاق بيتان في بيشاور الباكستانية الأول يسمى «بيت الأنصار» أنشأه الفلسطيني عبدالله عزام المحسوب على التنظيم الدولي لجماعة الاخوان المسلمين، والثاني أسسه أسامة بن لادن مطلع الثمانينيات ويعرف بـ«بيت القاعدة».. وكان بيت الأنصار يستضيف الشبان القادمين في الأشهر الثلاثة الأولى من وصولهم حيث يجري تدريبهم ويتلقون المحاضرات حول تأصيل مفاهيم الجهاد والولاء والبراء، ومع انتهاء العضو الجديد من مرحلة «بيت الأنصار» ينظر في أمر كل واحد على حدة، وعادةً مايذهب إلى «بيت القاعدة» وهي مرحلة انتقالية بين حياة المعسكرات وجبهات الحرب مع السوفييت وتستغرق هذه المرحلة من شهر إلى ثلاثة يتلقى فيها الفرد التدريب على الأسلحة بأنواعها الخفيفة والدفاعية والهجومية وفك وتركيب أجزائها والتعامل مع المفرقعات والقنابل اليدوية وقواعد الحرب الخاطفة، وحرب الشوارع، ثم يرحل الشباب إلى المعسكرات كل حسب جنسيته، ومن أبرز المعسكرات تلك التابعة للوافدين المصريين تحت إشراف أيمن الظواهري، محمد شوقي الإسلامبولي، مصطفى حمزة، رفاعي طه، وعلي عبدالفتاح.

ومن معظم أولئك الشباب تكوّن تنظيم القاعدة، وأتى هذا الاسم من «قاعدة البيانات» حيث لاحظ أسامة بن لادن عام ١٩٨٨م ان حركة «المجاهدين العرب»، وازدياد القتلى والمصابين في صفوفهم غير مدون في سجلات يشرع المتخصصون في المعلوماتية بتنزيل تفاصيل كاملة عن كل من وصل أفغانستان بتنسيق من مجموعة بن لادن لأجهزة الكمبيوتر، ومن حينها شاع بين أعضاء التنظيم وقيادته استخدام اسم «قاعدة البيانات» ليختصر تالياً إلى كلمة «القاعدة».

اللقاء على الجماجم

○ بات معروفاً أن أهم قيادات تنظيم القاعدة هما أسامة بن لادن،

الإرهاب تاريخ

لقد قيل أكثر مما ينبغي، في رأيي، حول عنصر "الأهداف غير المحاربة". إذ ليس هناك جماعة إرهابية في التاريخ اقتصرت هجماتها على جنود أو رجال شرطة. وماذا سيكون الوضع إذا قامت مجموعة من الرجال المسلحين بمهاجمة رجال شرطة في الصباح ومدنيين في المساء: هل رجال المجموعة إرهابيون، أو هل ينتمون إلى تصنيف مختلف، أو هل يغيرون طبيعتهم خلال يوم؟

لن يتم التوصل أبداً إلى وضع تعريف كامل وشامل للإرهاب لسبب بسيط هو أنه ليس هناك إرهاب واحد، بل كانت هناك "إرهابات" (أي أنواع إرهاب) متعددة، يختلف كل منها عن الآخر بشكل كبير في الوقت والمدى، وفي الدوافع، وفي المظاهر والأهداف.

الدراسات الأولية

عندما بدأت الدراسة المنهجية للإرهاب في عقد السبعينيات من القرن الماضي، كان هناك اعتقاد – خاطئ – لدى البعض بأن الإرهاب كان تقريبا وقفاً على جماعات يسارية متطرفة تحتكره دون سواها، كالألوية الحمراء الإيطالية أو الجيش الأحمر الألماني أو المجموعات الأميركية اللاتينية المختلفة. (كما كان هناك إرهاب إثني – قومي، كما كان الحال في إيرلندا الشمالية، إلا أنه لم يكن يتم إبرازه على أنه بنفس الأهمية). من هنا جاء الاستنتاج: يبرز الإرهاب إلى حيز الوجود حيثما تعرض الناس للاستغلال والقمع الشديد. ولذا فإنه من الممكن إنهاء الإرهاب بسهولة من خلال إزالة الاستغلال والقمع.

إلا أنه كان ينبغي أن يكون واضحاً حتى آنذاك أن هذا لا يمكن أن يكون تفسيراً صحيحا إذ إنه لم يكن هناك أي وجود إطلاقاً للإرهاب بالذات في أكثر الأنظمة قمعاً في القرن العشرين – في ألمانيا النازية وروسيا الستالينية. وصحيح أن الإرهاب لم يكن موجودا في أغنى المجتمعات وأكثرها تطبيقاً للمساواة – ولكنه لم يكن موجودا أيضا في أفقر الدول.

وبانقضاء عقد من الزمن كان معظم الجماعات الإرهابية اليسارية المتطرفة قد اختفي. وعندما كان يظهر أي إرهاب خلال عقد الثمانينيات كان يأتي إلى حد كبير من خلايا صغيرة لليمين المتطرف.. محققون يتفحصون حطام طائرة بان أميركان التي كانت تقوم بالرحلة ١٠٣ وانفجرت فوق لوكربي باسكتلندا في ٢٢ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٨، وقد قتل جميع الأشخاص الذين كانوا على متنها وعددهم ٢٥٩ شخصا و١١ شخصا على الأرض. وتناثرت جثث الضحايا والأنقاض فوق منطقة بلغت مساحتها ٢,١٨٩ كم مربع.

لقد وقعت بعض عمليات اختطاف وتفجير للطائرات (كتلك التي حدثت فوق لوكربي باسكتلندا)، كما هوجم، عدد قليل من السفارات أو حتى تم الاستيلاء عليها (كما حدث في طهران)، إلا أن هذه العمليات لم تنفذ من قبل جماعات من اليسار المتطرف.

وكان العمل الإرهابي الذي أوقع أضخم عدد من الضحايا في الولايات المتحدة قبل ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، هو تفجير المبنى الحكومي الفيدرالي في أوكلاهوما سيتي في العام ١٩٩٥، الذي نفذه يمينيان متطرفان يتعاطفان مع حركة مليشيا أميركية. واستمر الإرهاب القومي (في إيرلندا الشمالية ومنطقة الباسك في إسبانيا وسريلانكا وإسرائيل وبعض الأماكن الأخرى)، إلا أن الإرهاب الإسلامي، الذي يلعب دورا بارزاً جداً في هذه الأيام، لم يكن قد ظهر بعد، إلا في بعض دول الشرق الأوسط، وبصورة متقطعة.

أما اليوم، فقد أصبح الإرهاب والقاعدة، والمجموعات الأخرى المماثلة المدفوعة بالتطرف الديني، مرادفين ، ربما بشكل حتمي، لأن معظم الإرهاب المعاصر ينفذ من قبل أتباعها. إلا أنه يجب مقاومة إغراء المساواة بين الإرهاب وهذه الجماعات لسبب بسيط هو أن الإرهاب سبق ظهور الإسلاموية المقاتلة بفترة طويلة، ولعله سيستمر في الوجود بعد اختفاء دعاة الجهادية الحاليين.

والإرهاب ليس عقيدة سياسية، ولو أن البعض حاول تحويله إلى إيديولوجيا؛ بل هو عوضا عن ذلك واحد من أقدم أشكال العنف – إلا أنه من البدهي أنه ليس كل العنف إرهابا. وربما كان ظهور الإرهاب قد سبق ظهور الحرب النظامية لأن قتال الجيوش يتضمن قدراً معيناً من التنظيم واللوجستيات المتقدمة لم يكن الإنسان البدائي يملكه.

الخلفية التاريخية

يظهر الإرهاب في العهد القديم للكتاب المقدس، وكانت هناك حوادث كثيرة من جرائم القتل السياسية، وحتى الاغتيالات المنهجية، في التاريخ اليوناني والروماني. وقد شغلت جريمة قتل يوليوس قيصر، على سبيل المثال لا الحصر، الكتّاب والفنانين على مدى الألفي سنة التالية. وشغل التساؤل –حول ما إذا كان قتل المستبد (كما فعل وليام تيل، البطل القومي في الروايات السويسرية الزاخرة بأعمال البطولة) مسموحاً به– أجيالاً من علماء اللاهوت والفلاسفة.

ولم يكن هناك إجماع تام في الرأي، إلا أن رأي الأغلبية كان أن الإرهاب مسموح به في ظروف معينة. فعندما لا يترك ظالم مستبد – طاغية – هو عدو للبشرية جمعاء، ومنتهك للقوانين الإلهية والعدالة الإنسانية، سبيلاً آخر أمام ضحاياه للخلاص من القمع غير المحتمل، فإن ارتكاب عمل إرهابي يصبح عندها السهم الأخير، الملاذ الأخير للمظلومين، بعد استنفاد جميع الوسائل الأخرى.

إلا أن الفلاسفة وعلماء اللاهوت كانوا يدركون، حتى آنذاك، وجود خطر كبير مقلق بإساءة استخدام مبدأ قتل المستبد المبرر، لإمكانية ادعاء اللجوء إلى استخدام الحجة الأخيرة أو السهم الأخير، عندما لا يكون هناك في الواقع سبب مبرر للقتل (كما كان الحال لدى قتل الملك هنري الرابع الطيب في فرنسا) أو حين تكون هناك طرق أخرى متوافرة للتعبير عن الاحتجاج والمقاومة.

في هذه الأثناء، ظهرت مجموعات صغيرة انخرطت في الإرهاب المنهجي على امتداد فترات طويلة، كطائفة الحشاشين السرية، المنبثقة عن الإسماعيليين المسلمين، التي قامت بعملياتها مما يعرف الآن بالعراق وإيران من القرن الثامن حتى القرن الرابع عشر، وقامت بقتل الحكام والولاة والخلفاء وأحد ملوك القدس الصليبيين. وكان الحشاشون روادا في الإرهاب الانتحاري – وكان سلاحهم دائما الخنجر، وبما أن ضحاياهم كانوا يتمتعون

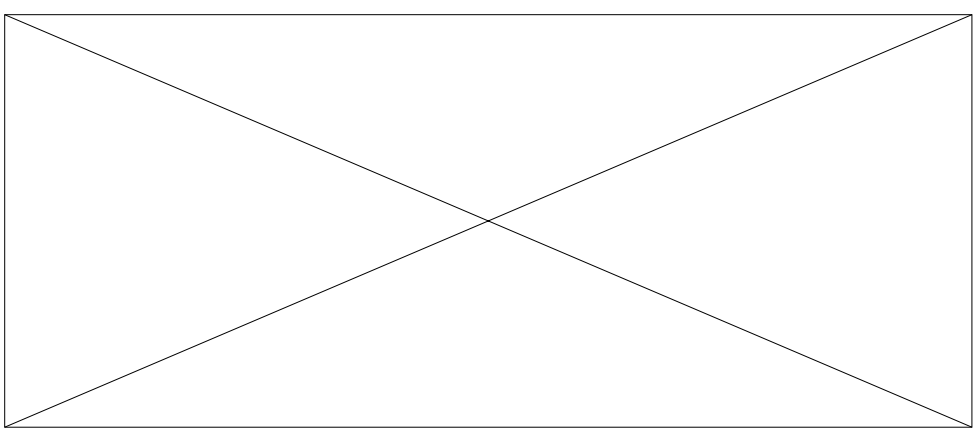

الإرهاب وخطره على المجتمع

علي عبدالله النمري

□ الارهاب ظاهرة دولية معقدة وجريمة خطيرة وبشعة ضد الانسانية والشعوب والحكومات.. يقوض دعائم الأمن والاستقرار والطمأنينة ويعطل مشاريع التنمية ويسبب أضراراً فادحة على الأمة.

الارهاب هو القتل والاغتيال والتدمير والاعتداء والابتزاز.

الإرهاب هو مجمل الانشطة التي تهدف الى قتل النفس التي حرم الله، واشاعة جوٍ من عدم الاستقرار والضغوط المتنوعة من خلال الاغتيالات والتفجيرات والاختطافات واحتجاز الرهائن وغير ذلك من الأعمال التي تهدف المساس بمصالح الشعب.

الإرهاب هو فعل اجرامي تحركه دوافع دنيئة يرتكبها فرد أو جماعة من الأفراد بأساليب مختلفة، يعتمد على نشر الرعب في النفوس وهو جوهر الفعل الارهابي وبالتالي فلا يشترط دائماً ان يكون الهدف من الفعل الارهابي سياسياً فقد يكون الفعل موجهاً لزعزعة الأمن والاستقرار لتدمير المجتمع ثقافياً واقتصادياً والاعتداء على ممتلكات الشعوب ومكاسبها العظيمة وعلى المدنيين الأبرياء بهدف ضرب السكينة العامة والاقتصاد الوطني لإيقاف عجلة التنمية.

الإرهاب ينطلق من أيديولوجية لها قناعاتها وأهدافها وخططها ويخدم توجهات القائمين على العمل الارهابي وقيادته لتحقيق مصالحهم الذاتية.

ان للارهاب جذوراً، وجذوره التطرف باسم الدين، التطرف باسم الاسلام، التطرف باسم الفضيلة والايمان الذي يخطف الشباب الأبرياء ليحولهم الى قتلة ومجرمين وليكونوا الضحايا والوقود التي يستخدمها القائمون على العمل الارهابي وهم في غفلة من الأمر لايعلمون أنهم كالخراف التي تُربى وتُسمن من الصغر ليس حباً فيها وإنما حباً في لحمها الذي يعيش عليه القائمون على الارهاب قاتلهم الله.. وهكذا كلما كبر خروف ووجدوه سميناً بما يكفي وليمتهم دفعوه الى ذبح نفسه على غير ملة بعد ان يقطعوا له العهود والوعود ويكتبوا له صكوك الغفران والكلام المعسول الممزوج باسم المكر والخديعة.

المسكين ذاهب الى حتفه ومصيره المظلم في الدنيا والآخرة وهم يمنونه بانه يوم عرسه، وبدل الواحدة سيتزوج بسبعين من حور العين في الجنة والى ما هنالك من الاحاديث والسير التي اتصف بها عظماء الامة الاسلامية صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزواتهم ونشرهم لدين الله ويسقطونها على المخدوعين والمنخدعين من الشباب المغرر بهم.

وسؤال يطرح نفسه لهؤلاء وغيرهم ممن يغرر بهم أو ممن قد خطفهم التطرف باسم الاسلام، والاسلام منهم براء لعلهم ينتهون ويعودون الى الطريق الصحيح قبل فوات الأوان ويكونون من الملعونين في الدنيا والآخرة.

السؤال الأول : ماذا حقق من سبقهم بالعمليات الارهابية بفعلهم الاجرامي الشنيع بعد ان استخدمهم القائمين على العمل الارهابي على مدى السنوات الماضية لدينهم ولأمتهم ولشعوبهم ولأهلهم وذويهم بعد ارتكابهم الأعمال الارهابية في المجتمع؟.

هل المجموعة التي أطلقت على نفسها جيش عدن أبين الاسلامي غيّرت الكون بخطفهم السياح في مودية وقتل أربعة منهم وهي تخدم اعداء الأمة وأعداء الوطن بذلك الفعل الاجرامي والمجموعة الارهابية التي فجرت المدمرة كول وقتلت ١٧ من العاملين عليها، والمجموعة التي قتلت ١٩ ضابطاً وجندياً من حماة الوطن والساهرين على أمنه واستقراره في حصون الجلال بمارب؟!.

والمجموعة التي فجرت الناقلة (ليمبرج) في المكلا ومن قتل جارالله عمر وقتل مدير مستشفى جبلة ورفاقه وغيرها وغيرها من الأعمال الاجرامية لجماعات وأفراد الارهاب.

هل غيّروا الكون بأفعالهم المشينة والمخزية ليكونوا قدوة لغيرهم وهل انبعث منهم ريح المسك بعد موتهم أم انبعثت منهم الروائح النتنة التي تؤذي ذوي القربى والناس أجمعين؟!.